الجزء ٨



السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٧ ٢٤ شعبان ١٣٢٥

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

المستر تفت

المنتظر ان يُنتخب رئيساً للولايات المتحدة

نسخة من اخلاق كبار الاميركان

ان ترأُس المستر ثيودور روزفلت لحكومة اميركا الكبرى بضع سنين اثبت ان هذا الرجل نابغة زمانه وبرهن على انه سياسي واداري وعلاَّمة وكاتب وخطيب وبطل وفوق ذلك فاضل حتى صار عاشقوه يظنون انه اذا ابى الانتخاب التالي فلا يجدون مثله · والحقيقة ان بين الثمانين مليوناً الذين يؤلفون هذه الامة العظيمة عدداً ليس بالقليل من الرجال الذين ايّاً تنتدبه منهم يكون روزفلتاً

روزفلت ربلكي الحزب . وأهم انصار هذا الحزب هم اصحاب الثروة والمشروعات الكبيرة . ولكنّ سياسة روزفلت تخالف اميال حزبه وتوافق مبادئ الحزب الديموقراطي . وقد اشتهرت بكونها اشتراكية الروح وأن مآلها تقوية الضعيف لكيلا ينسحق تحت اقدام القوي . وظهرت بصورة مقاومة الشركات الكبرى التي تحاول خنق اصحاب الاعمال الصغار وامتصاص دم الشعب . وربما كان غرضه ان يتدرّج بهذه السياسة الى تأييد الحكومة على اساس الاشتراكية فعلاً وينزع الاعمال الكبرى من ايدي المتمولين الكبار ويضعها في يد الحكومة بحيث تكون خاصة الشعب

لا نبحث الآن ان كان هذا مآل سياسته ولا ان كانت سياسته هذه قويمة او خرقاء ولكننا نقول ان الرجل يعتقد ان سياسته هذه عدل وحق وخير للبلاد والعباد ولكن حزبه يأباها ولهذا قد لا يرشحه ثالثةً . ولذلك يجتهد روزفلت ان يرشح احد وزرائه المستر تفت لاعتقاده انه يستأنف السير على مجرى هذه السياسة ولظنه انه يعمل بارشاداته . ولهذا ليس بالكثير ان نختص هذه النبذة برجل ينتظر ان يقفف ٤ اعوام على الاقل موقف ملك . وغرضنا من هذه النبذة ان نبين سرّ نجاح اميركا في مقدرة اعلامها وحسن صفاتهم واستقامتهم

من هو تفت

قالت مجلة المجلات الاميركية في وصفه انه : شخصية القوة . والآلة البخارية البشرية . وهو في شغل شاغل على الدوام . والشغل حتى الصعب منه لذة له . جميل الطلعة يجتذب الذهن اليه لاول لمحة . يبثّ مشيئة صالحة وملامحه تنبئ عن عافية جسدية وعقلية وادبية . وبالرغم مما تتوسمه من وداعته ومزاحه وتخلفه عن الرسميات تُشعر بوقار فيه وهيبة في مجلسه وتدرك انه ذو قوة

دماغية وأحدُ الرجال القلائل الذين كلما خبرتهم عشقتهم ٠ ولما سئل الكبتن سث رأيه في تفت قال ,, هو الرجل الذي لا تتعرَّف به مرتين ''

وقد عُرف تفت بحرية الضمير فاذا اعتقد بأمر خطاً صرَّح به ولو ناقض مصلحته ٠ ولما ترأس مؤتمر حزبه الربلكي في اوهايو دعته الضرورة ان يقرّع بنفس الحزب الممثل في سنسناتي الامر الذي يؤلم كثيرين من اصحابه الاعزاء ويضر بمستقبله لانه مسمى للرئاسة ٠ ولكن لما كان يعلم ان سكوته في ذلك الموقف يُعدُّ رياءً وجبناً لم يبقِ ولم يذرِ من التقريع لاعتقاده انه حق

في الثلاثين من عمره تعين قاضياً في المحكمة العليا في سنسناتي وفي الخامسة والثلاثين تعين قاضياً في محكمة الولايات المتحدة وكانت نفسه تطمح الى المناصب العليا في الحكومة الكبرى ٠ على انه ما لبث ان تعين حاكماً للفيلبين وفي غضون حاكميته استدعي للقاضوية في المحكمة العليا للولايات المتحدة و بذلك تمت له امنيته ٠ على انه رأى أن الواجب مقدَّمٌ على هوى النفس وان انسحابه من الفيلبين يفقد ثقة الاهالي بالحكومة فأبى ان يلبي الدعوة التي تسرُّه فأرسل تلغرافاً الى روزفلت يقول له فيه ,, ارجو ان تلاحظ الوقت الذي اقدر فيه ان اقبل هذه الوظيفة السامية فاذا لم يمكن تأجيل ذلك أضطر ان استعفي '' فاجابه الرئيس ,, اني مُشرف على حقل العمل كله فاري الافضل ان تلبي ''

وقد ذاعت عنه قصص عديدة تدلــ على تقديره الاشخاص قدرهم وعلى وداعته نحوهم من ذلك انه ذات يوم وهو يسمع قضية رأى خمسة تلامذة حقوق علِى مقعد خلفي يسمعون فقال لهم ,, هاتو خمسة كراسي الى هنا '' واوعز الى كاتب اسراره ان يستدعيهم للجلوس الى جانبه ففعل الكاتب ولما استقروا الى جانبه قال لهم ٠ اظن انكم تسمعون المرافعة هنا افصح '' ٠ وفي ذات يوم ايضاً قدَّم اليه محامٍ من كنتوكي ورق قضية فوجد ان النص فيه سقيم قد يفضي

الى خسرانه القضية فقال له ,,امهلك ريثما تصلح النص'' على ان المحامي التبس عليه الخطاء من الصحيح في ورقه فتناوله تفت منه وضرب بقلمه على بعض الجمل وافهمه كيف يجب ان يصلحها و بالتالي ربح القضية

وبما ان الرجل ممن يثبتون على كلمتهم فلا يستصعب ان يقرَّ بغلطه اذا عرفه ومن ذلك ان رُفعت اليه قضية من مقاطعة هملتون في ولاية اوهايو على شركة سكة حديد فدعاه الامر ان يعنف حاكم البلاد فارتعد الحاكم من تعنيفه وفي إبان حيرته انتهى اليه كتاب من تفت يعتذر له عن شدة تعنيفه

ومع انه يعزُّ اصدقاءه جدًّا فلا يحابي معهم ضد الحق. ومن شواهد ذلك ان رفعت اليه قضية جنائية على شيخ طاعن في السن صديق له فقابله ابن الشيخ مقابلة خصوصية والتمس منه ان يرفق بالحكم اما تفت فلم يدع الصداقة توثر عليه فحكم على الشيخ الحكم الذي يستحقه

و بالرغم من رسوخه في جانب العدالة فلا يعدم عاطفة الرحمة عند الاقتضاء فقد روي انه حكم على رجل يُدعى فرنك فلان بسجن ٦ اشهر لانه داس الشريعة في تهييج عمال السكة الحديدية للاضراب عن العمل. وكان تفت قبل الحكم يُهدَّد بخطف روحه اذا حكم على الرجل ولكنه لم يعبأ بالتهديد. و بعد انتهاء مدة الحكم كان عمال السكة الحديدية المضربين عن العمل في ضيق شديد فمضى فلان الى زيارة عائلاتهم ومساعدتها وكان اول من استصرخه من المحسنين لمساعدة تلك العائلات البائسة هو تفت نفسه الذي قضى عليه. فقوبل في الحال بلا تلجلج و بكل ترحاب. وسأله تفت ماذا اقدر ان افعل لك؟ فقال له فلان: ايها القاضي لم ادرك مقدار الضرر الذي جلبته حتى زرت عائلات المضربين عن العمل وشعرت بما يقاسونه فها انا اود أن اعاقَب بسجن ٦ اشهر أخرى اذا كنت تغيث هوُلاء الناس لانهم كلهم فعلوا تحزبًا لي من غير حق

فتري مما تقدم ان فلان الذى قاسي من حكم تفت رأى تلك السحنة الرهيبة تختبئ تحتها ملامح الاشفاق

هذه نسخة مصغرة من صور بعض صفات الرجل الذي اشتغل في القضاء مدة وحكم الفيلبين برهة والآن يتولى وزارة الحربية وينتظر ان يكون رئيساً للولايات المتحدة في المدة التالية — وهذا يعلل للقراء شيئاً من نجاح هذه البلاد

كاتب

من بكين الى باريز
على اوتوموبيل

قطع البرنس مورغيس الايطالي هذه المسافة على اوتوموبيله في ٦٠ يوماً منها ٤٠ سير و٢٠ راحة

وُضعت جائزة قدرها ١٠٠ الف فرنك على يد جريدة الماتين الفرنسوية لمن يسبق في سباق على الاوتوموبيل من بكين عاصمة الصين الى باريز. فانبرى لهذا السباق الهائل الذي لم يسبق له مثيل عدة من اصحاب معامل الاوتوموبيل في فرنسا وايطاليا وغيرهما فكان السابق البرنس مورغيس الايطالي فانه قطع المسافة بين بكين وباريز في ٦٠ يوماً منها ٤٠ سير و٢٠ راحة. وكان يصحبه في هذا الشوط الذي سيكون له أعلى ذكر في تاريخ وسائل النقل والسير صحافي ايطالي يُدعي لويجي برزيني

وقد نُقلت مركبات الاوتوموبيل الى الصين نقلاً وفي ١٥ حزيران (يونيو) الماضي خرجت من بكين. فاجتازت مركبة البرنس بورغيس المسافة بين بكين وخلكان وهي ١٦٠ كيلومتراً في اربعة ايام ونصف في وسط طريق هائلة لا

تهتدي فيها القطا · وقد وصل الى هذه المدينة متقدماً سائر مسابقيه بيوم واحد · فبرحها واندفع في صحراء غوبي المشهورة حيث لقي من الزوابع والزعازع ما كاد يفني عزمه · فبلغ خلختا في ٢٤ حزيران (يونيو) · وفي اول تموز (يوليو) صار على بحيرة بيكال · وفي ثاني تموز بلغ ايركوتسك اعظم مدن سيبيريا · وفي ٩ منه بلغ بلدة كرسنويارك · وفي ١٠ منه اتشنك · وفي ١٦ منه وصل الى اومسك

ثم ترك البرنس آسيا ودخل الى اوروبا فوصل في ١٩ منه الى ييكاتر يينسبورج · وبلغ الى برم في ٢٢ منه والى نيجني نوفكورود في ٢٥ منه والى موسكو في ٢٧ منه والى بطرسبرج في ٣ آب ,, اغطس '' والى برلين في ٥ منه والى بييلفيلد في ٧ منه والى لييج في ٨ منه والى بلدة ,,مو'' في اليوم الثاني وفي العاشر من آب ,, اغسطس '' دخل الى باريز

وكان البرنس يلقى في اوتوموبيله في شوطه هذا الاحتفال والاكرام حيثما حلّ واينما سار · وقد أقيم له في موسكو وبطرسبرج و برلين احتفالات عظمى · اما الاحتفال الذي اقيم له في باريز يوم دخوله اليها فحدث عنه ولا حرج · فان مائة الف شخص هرعوا لمشاهدته حين دخوله واشترك في استقباله جميع الطبقات العالية والدانية · ولا ريب في ان هذا السباق وهذه الاحتفالات كانت اعظم اعلان لجريدة الماتن التي اخذت تنحو منحى الاميركيين في اعلاناتها · على انها في هذا سبقت الاميركيين بمراحل

ويظهر ان الصناعة الايطالية قد أخذت تنزل في اسمى مقام في هذه الاعوام · فان المركبة التي ركبها البرنس بورغيس وسبق رفاقه عليها مركبة ايطالية من معمل ,, ايتالا '' وفي السباق العظيم الذي أقيم منذ شهرين في دييب كان السابق ايطاليًا على مركبة ايطالية · وفي اول ايلول ,, سبتمبر '' أقيم في برسيا من اعمال

ايطاليا سباق الى (كأس فلوريو) فكان السابق ايطالياً على مركبة ايطالية ايضاً. وقد أكبرت الجرائد الفرنسوية هذه الامور وأنذرت اصحاب المعامل الفرنسوية ومقتني مركباتها بانحطاط سمعة صناعتهم التي لها المكان الاعلى والقدح المعلى اذا لم يحتاطوا للامر ويصونوا صناعة هم مخترعوها.

ولما وصل البرنس بورغيس الى باريز كان مسابقوه لا يزالون بعيدين عنها مسافة ٤ الاف كيلومتر. وقد نسبوا هذا الى ان البرنس استعمل الخيل في مسيره غير مرة اما هم فاضاعوا الوقت سدى

الحرب العوان

في جسم الانسان

اكتشاف غريب للدكتور ريط الانكليزي

استخرجه من الانكليزية نقولا الحداد

لا تبقى الآلة الميكانيكية سليمة عهداً طويلاً الا اذا دامت دائرة بانتظام. هكذا الجسم البشري لا يعيش عمراً مديداً الا اذا كانت اعضاؤه العاملة تعمل بانتظام. ولا ريب ان معنى ذلك اتقاء المرض

ثبت منذ عهد باستور ان الجراثيم الحية سبب معظم الامراض. وهذه الجراثيم تتطرق الى الجسم من جهاته المختلفة وتنمو فيه وتفضي الى حتفه. وقد أثبت التحقيق ايضاً ان وظيفة كريات الدم البيضاء الجهاد في تنقية الدم من تلك الجراثيم فما هي اذاً الا رجال شحنة (بوليس) الجسم تطوف فيه من قمة الرأس الى اخمص القدم فتتوزع في الشرايين والاوردة والانابيب الشعرية.

فاذا احتوى الجسم القدر اللازم منها واتمت عملها بالطريقة النظامية ينجو من اذاها

على ان لهذه الكريات اعمالاً غريبة وتصرفاً مستهجناً ٠ والقليل منها احياناً تصنع العجائب تحت عدسية المجهر (الميكروسكوب) اذ يراها المجهريُّ تلتف حول عدد عديد من الجراثيم وتلتهمها ٠ ولكن في بعض الامتحانات الاخرى رُئيت هذه الكريات مسالمة للجراثيم وجاثمة الى جوانبها جثوم الذئب الى جنب الحمل موئتلفين ٠ وفي هذه الحالة لا المنبهات تهيج الكريات على الجراثيم ولا الجوع يجعل تلك خائرة حين لا شهية لها لاكل هذه ٠ والتحقيقات العديدة الماضية لم تُنجلِ عن الوسيلة التي تحمّس هذه الشرطة للقبض على اعداء الجسم البشري اللهمَّ سوى هواها الشخصي ٠ فاذا امكن هواها ان يقاد اصبح الجسم البشري منيعاً لدى الامراض الجرثومية

ولكن اكتشفَ هذا السرّ العلامة الاستاذ ريط الباثولوجي الشهير بعد اذ دقق جدًّا في دراسة هذا الموضوع الذي تركه سواه كليلاً

الجراثيم سواء كانت كبيرة او صغيرة قتالة او غير موذية لا مصلحة فيها لكريات الدم البيضاء ما لم تهاجم الدم بشرياً او حيوانياً ٠ اذا أُلقيت الجراثيم في محلول من الدم ثم غُسلت جيداً ثم وُضعت مع كريات الدم البيضاء المغسولة جيداً ايضاً التهمتها هذه حالاً — هذا عمل البكتيريولوجي الذي تمرّس على مثل هذه الاختبارات فلا محل لشرحه هنا

ولما عرف الدكتور ريط هذه الحقيقة عزم ان يكتشف ماهية هذه المادة الغريبة التي تنبه شهوة الكريات لالتهام الجراثيم و بعد عدة اختبارات وجد انها شيء ينشأ من حويصلات الجسم نفسه ٠ ومهما تكن فقد سماها ابصونين من الكلمة اليونانية Opsono ومعناها ,, أعد الغذاء " ٠ فحينما تفرز حويصلات الجسم

هذه المادة تتجمع حول الجراثيم حيثما تتربص وتوءلف حولها مثل غشاء . على ان هذا الغشاء نفسه لا يوءذي الجراثيم ولا يعرقلها لانها تمزقه وتنفث سمها وتعلّ الجسم كانها لم تحتبس . ولكن حينما تعثر الكرية البيضاء بهذا العدو الدخيل يكون للابصونين فائدة لانه يقوي الكريات على التهامه . فبدلاً من ان يجتازه شرطيُّ الكرية البيضاء ينتضي عليه حسام نواته (المسماة بروتوبلاسم) ويضمه الى احشائه ويلتهمه

واذا نظرت في المجهر (الميكروسكوب) الى الكرية البيضاء ملتهمةً الجرثومة وجدت هذه تحاول ان تخرج من احشاء تلك . ولكن للكرية قوة كقوة الهضم فتقتل الجرثومة وتتغذاها . وفي بعض الاحيان تحاول الكرية ان تلتهم اكثر من جرثومتين اذا كانت الجراثيم عديدة . وحينئذ يقال انها تمضغ اكثر مما تهضم وعليه فعوضاً من ان الكرية تأكل الجرثومة تأكل هذه تلك فتحل كرية اخرى محل الكرية المأكولة وهكذا تشب المعركة . فاذا كانت الجراثيم كثيرة تلقاء الكريات البيضاء او لم يكن لهذه شهية كافية يخسر البدن المعركة وتتغلب الجراثيم ويشتد المرض على الجسم واخيراً تنتهي الحرب بتسليم الجسم للموت

واحياناً تنشئ حويصلات الجسم كثيراً من الابصونين فيكون الدم قوي الشوكة او قل شديد النهمة فيطوف في الجسم يلتهم ما يعثر عليه من الجراثيم . فالويل للجرثومة التي يغلّفها الابصونين اذ يجعلها لذيذة الطعم لكرية الدم البيضاء

هذا هو تعليل الدكتور ريط لمغالبة الجسم للجراثيم المرضية فهو ثمين في نظر العلم ولكنه بلا قيمة في نظر الانسانية اذا لم يصل الى الوسيلة التي تكثر الابصونين . وقد وجد اخيراً ان حويصلات الجسم تفرز كثيراً من الابصونين بسرعة حين يكون عدد عديد من الميكروب في الجسم وحين يقل الميكروب يقل افراز الابصونين للدم . وهكذا اذا حقن الجسم بالميكروب يزداد الابصونين

في الدم · على ان هذا الامر لا يجوز لان الغرض نفي الجراثيم من الجسم لا ادخالها اليه · ولكن الدكتور ريط حقن الجسم بجراثيم ميتة ولحسن حظه لاحظ انها استدرت الابصونين كما تفعل الجراثيم الحية فجعل يزيد مقدار الحقن بالجراثيم الميتة فكانت حويصلات الجسم تزيد ادرار الابصونين خوفاً من خطر الجراثيم ولكن الجراثيم لم تنمو ولم تتكاثر لانها ميتة وقد غلف الابصونين هذه الجراثيم والتهمتها الكريات · واما الزايد من الابصونين فغلف الجراثيم الحية الموجودة في الجسم وجعلت تلتهمها الكريات الجائعة بسبب تنبيه الابصونين الذي استدرته الجراثيم الميتة المحقون بها الجسم شهوته · وعلى ذلك يتلاشى المرض الذي لم يكن ليشفي

بقي سؤال : هل يوجد نوع واحد من الابصونين او انواع ؟ فان كان نوع واحد فقط كانت حقن الجسم بالجراثيم الميتة في مدات مختلفة بالمقادير المناسبة يزيد فاعلية الحويصلات في إدار الابصونين لقتل الجراثيم التي قد تكون كامنة في الجسم قبل المعالجة مهما كان نوعها

اما الامتحانات فقد اظهرت انه يوجد لكل نوع من الجراثيم نوع خاص من الابصونين ويرجح ان نوعاً من الجراثيم التي من عائلة واحدة يمكن ان يغلف اي نوع من الابصونين الذي من العائلة الخاصة بعائلته · والواضح ان حويصلات الجسم الواحد تكون سخية بتجهيز الدم بالابصونين الذي يغلف جراثيم الحمى التيفوئيدية مثلاً ولكنه يكون بخيلاً بتجهيزه بالابصونين اللازم لجراثيم الحمى القرمزية · وقد استدل الدكتور ريط من ذلك على نظرية وهي ان الشخص الذي يعاني من علة مزمنة يكون عنده حويصلات سخية بادرار الابصونين اللازمة لجراثيم علته · ومن ذلك استنبط طريقة الابصونين للمعالجة

وذلك انه يربي الجراثيم الخاصة بمرض من الامراض في مستنبت خاص

حتى تنمو وتتكاثر ثم يقتلها (بالغليان مثلاً) ويحقن بها دم المريض بذلك المرض فتستدر الابصونين اللازم دون غيره من انواع الابصونين · وقد نجحت المعالجة بهذه الطريقة في عدة حوادث

الدين يحارب العلم

نشر مجمع التفتيش في رومه منشوراً خطيراً كان له وقع أليم لدى كثيرين من الكتبة الدينيين والمفكرين من رجال الدين فضلاً عن النقدة والكتبة العالميين · وهذا المنشور عبارة عن مبادئ وضعها اولئك الكتبة وجمعها مؤلفو المنشور وحكموا بنبذها ورفضها · ومن اولئك الكتبة الاب لوازي المشهور بدقة مباحثه الكتابية وسعة علمه وهو الذي قامت عليه منذ بضع سنوات قيامة الاكليريكيين ووافقهم الفاتيكان على تحريم مطالعة كتبه · واليك بعض تلك المبادئ التي رفضها المجمع

ان النقدة الذين يفسرون الكتاب المقدس تفسيراً علمياً يجب ان لا تُطرح اقوالهم على سلطة الكنيسة لتحكم عليها

لا يجب ان يُهمل تأويل الكنيسة للكتب المقدسة بل يجب ان يكون هذا التأويل خاضعاً للتفسير التاريخي العلمي

لا دخل للكنيسة في حقائق العلوم البشرية فلا يجوز لها ان تحكم فيها لان الحقائق المنزلة شيء والحقائق العلمية شيء

لا يجوز للكنيسة ان تفرض على رعيتها التصديق المطلق في داخلهم بالاحكام التي تصدرها بشأن بعض المبادئ

من السذاجة الاعتقاد بان الله هو نفسه منشئ الكتاب المقدس

ان الوحي في العهد القديم انما هو عبارة عن ايضاح الاسرائيليين الحقائق الدينية باسلوب جديد يجهله الوثنيون

لا يشمل الوحي الالهي جميع الاسفار المقدسة بحيث يجعل كل جزء منها سليماً من الخطأ

من اراد درس الدروس الكتابية درساً مفيداً يجب عليه ان يزيل من فكره الاعتقاد بان الكتاب مُنزل وان يدرسه كما يدرس المبادىء البشرية

لم يروِ الانجيليون (كتبة الانجيل) رواياتهم لتقرير الحقيقة بل كانوا يتصرفون برواياتهم تصرفاً يقصدون به الفائدة غير مراعين الحقيقة

دخل التحوير والزيادة والنقصان على الاناجيل حتى اصبحت في صورتها القانونية الحاضرة ولم يبق فيها الا اثر خفيف من تعليم المسيح

ان الوحي هو شعور يكتسبه الانسان بعلائقه مع الله (١)

ليست الحقائق الموحى بها منزلة من السماء بل هي تفسير الحوادث الدينية تفسيراً ادركه الانسان بعد عناء شديد

لا يُستخرج من الاناجيل البرهان على الوهية المسيح · ومنزلة المسيح في التاريخ اضعف من منزلته في الدين · ولفظة (ابن الله) الواردة في الانجيل معناها ,, المسيح '' لا انه ابن الله حقيقة · وان المسيح اخطاء في كلامه عن قرب مجيء المسيح او ما ورد بهذا الشأن في الاناجيل من وضع متى ومرقص ولوقا

ان قيامة المسيح ليست قضية تاريخية بل هي مسألة استخرجها الضمير

(١) رجال الدين المسيحي ينكرون هذا القول وفلاسفة الاسلام يقولون عن الوحي انه « فيضان العقل الفعال الى العقل المفعول »

المسيحي شيئاً فشيئاً من غيرها من الحوادث

ان العقيدة بموت المسيح موتاً تكفيرياً لا تُستفاد من الانجيل بل وضعها الرسول بولس

ان الاسرار المسيحية نشأت عن تفسير الرسل لها لا عن افكار المسيح ونياته وذلك تبعاً لمقتضيات الاحوال وانه لا غاية منها سوى تذكير البشر بوجود الخالق ونعمه

ان ضرورة العماد ادخلها النصارى لايجاب الاعتراف بالدين المسيحي

انه لم يكن في فكر المسيح ان يجعل الكنيسة جمعية تدوم على الارض بل كان في فكره ان ملكوت السماوات سيأتي قريباً مع انقضاء العالم

ان بطرس لم يعتقد قط ان المسيح خوله الرئاسة في الكنيسة

ان الكنيسة لا تقدر على المدافعة عن تعاليم الانجيل الادبية لانها متشبثة بمبادئ ثابتة لا توافق التقدم الحديث

ان تقدم العلم يوجب اصلاح تصورات التعليم المسيحي بشأن الله وايجاد الكون والوحي واقنوم الكلمة وسر الفداء

ان الكاثوليكية والمسيحية الحاضرة لا تطابق العلم الحقيقي ما لم تتحول الى ديانة غير نظرية اعني الى البروتستانتية الواسعة الافكار

هذا أهم ما جاء في هذا المنشور . ولما وافق قداسة البابا على نبذ هذه المبادئ بعد كثير من التردد وذاع خبرها في الصحف قام لها العالم الديني وقعد و بالاخص العالم الكاثوليكي . وسبب ذلك انه نشأت في السنوات الاخيرة بين مفكري اهل الدين واذكيائهم كما تقدمت الاشارة اليه حركة يُراد بها توسيع الافكار والمبادئ الدينية لتطبيقها على العلم . فهذا المنشور قطع عليهم الطريق وأوجب عليهم ان يعودوا الى مبادئ الكنيسة الحرفية دون توسع في تاويلها . ولهذا جهر كثير

من كتاب الكاثوليك الكتابيين بعدم استحسانهم حفر هذه الهاوية الجديدة بين الدين والعلم • وكان في فرنسا مجلة وظيفتها البحث في مسائل كتاب المقدس وتأويلها تأويلاً عقلياً فبعد صدور هـذا المنشور انقطعت عن الظهور من تلقاء نفسها

اما غير اهل الدين فلم يبالوا كثيراً بهذه المسائل • وعقلاؤهم يقولون ان الكنيسة مصيبة في تقريرها المبادئ التي ترى انها تحفظها وتصونها • ولكنهم يتساءلون هل هذا المنشور ينفع المسيحية في الوقت الحاضر نفعاً حقيقياً ام يضرها والظاهر للمتأمل البصير انه لم يكن من غرض لمؤلفي المنشور سوى التأثير على افكار الشعب اي افكار الذين يفتكرون بادمغة غيرهم لا بادمغتهم انفسهم اما الذين اعتادوا ان يفكروا بانفسهم لانفسهم فلا يتبعون غير وحي عقلهم كما قال الفيلسوف ديكارت (اذا رمتَ معرفة الحقيقة فيجب عليك ان تتجرد ساعة من جميع افكارك وآرائك واثار تربيتك وتبحث عنها دون ان تترك لرأيٍ خارج عنك سلطة على حكمك) ولكن وا أسفاه الى اين نبلغ اذا فعلنا هذا

اللغــة

الانكليزية الاميركية

او مقابلة بين لغة الانكليز والاميركان

اتحفنا جناب الاديب بشور افندي بشور بمقالة ضافية الذيول عنوانها «اللغة الانكليزية ومنشأها وتاريخها» وهي جديرة بالنشر لقراء الجامعة فاجلنا نشرها الى فرصة اخرى ولكننا اقتطفنا منها الان للقراء الفصل التالي

لا يخفى على كثير منا ان اللغة الانكليزية قد غرسها في اميركا مهاجرو الانكليز في القرن السابع عشر . ولكن بُعد الامتين احداهما عن الاخرى واختلاف المحيط والاحوال قد انشأت اختلافاً بيناً بين الانكليزية المحكية في انكلترا والانكليزية المحكية في اميركا وخصوصاً في اللفظ واستعمال المفردات

وبوجه الاجمال يصح ان يقال ان الانكليزي يتكلم بسرعة اشد من سرعة الاميركي وينتهي كلامه على الغالب بصوت رفيع بينا الاميركي ينتهي كلامه بصوت منخفض: وترى الانكليزي ايضاً ,,يبلع" الحرف R ويهمل الحرف H اذا التقى بالحرف w كما في wh فيقول woles ويقصد whales وتسمع ايضاً الطبقة الدانية في الامة الانكليزية تلفظ Onse وتقصد Honse و Hice وتقصد ice والانكليزي يلفظ الحرف A ماداً صوته فيه للتفخيم كما في half, dance ويختم ايضاً كثيراً من الكلمات بصوت ممدود فيلفظ كلمة pound كأنها مكتوبة هكذا pou - und فاللفظ الانكليزي يجعل اختلافاً ظاهراً بين الاحرف الصوتية واما اللفظ الاميركي فيهمل النغمة الحلقية في كثير من الاحرف الصوتية وهذا مما يخالف القواعد

واما الفرق في استعمال المفردات فعسر التنسيق والتبويب ويستلزم شرحاً

ادق مما تقتضيه هذه العجالة . وتتعاظم صعوبته على الاكثر اذ يلزم الباحث ان لا يهمل صحة مركز المفردات البياني ولا مركزها في الاصطلاحات . وهنا يظهر ضعف الانكليزية الاميركية وانحطاطها نوعاً. فان الاميركيين لا يراعون قواعد اللغة في كلامهم وكتابتهم فكثيراً ما يتسامحون باستعمال الاصطلاحات المغايرة لاداب اللغة

وبالطبع فالعديمو التهذيب في كل بلد وصقع لا يتكلمون بحسب اصول لغتهم . وصحيح ايضاً ان الانكليزي الجاهل لا يحسن الكلام اكثر من ابن عمه الاميركي وان بين الاميركي المتهذب والانكليزي المتهذب فرقاً قليلاً في استعمال اللغة ولكن المعضلة الكبرى هي في الجمهور المتوسط التهذيب ذلك الجمهور الذي تعلم قليلاً وطفق يستعمل اللغة وما اكثر هذه الطبقة في اميركا . وأشد نفوذها بين عموم الشعب خلافاً لما هي عليه في انكلترا وسائر الامم . فهذه الطبقة في اميركا تكتب وتنشر كثيراً من مؤلفاتها غير مراعية قواعد اللغة مكتفية بمجموع من المفردات يعبر عن افكارها ولو بالتقريب . فحدث اغلاطهم في الاصطلاحات والتراكيب جمهور الكتاب المحققين الى ان نعتوا لغتهم " بالاميركانزم " تفرقة لها عن الانكليزية الصحيحة والسليمة التراكيب

وما على البلاد الاميركية وامامها هذه المشكلة اللغوية سوى الوضع بين ايدي ابنائها الصغار مؤلفات مكتوبة بلغة صحيحة سليمة من العيوب كما نفعل نحن ابناء اللغة العربية أذ نضع بين ايدي صغارنا وهم بعد يتعلمون التهجئة والقراءة كتباً لغوية بليغة كالقرآن الشريف والكتاب المقدس وكليلة ودمنة ومقامات الحريري ومجمع البحرين . وعلى مذهبي ان الفئة التي قامت في ديارنا العربية تنادي بوضع كتب سهلة المأخذ للصغار وقريبة الفهم كما يفعل الاوروبيون قد تطرفت في اصلاحها كما تطرف الاوروبيون . فانا لا اخطئهم بل اقول

معهم ان الصغير يجب ان يستعمل ادراكه وقوة ذهنه وعليه ان يمرنهما ولكن في الوقت ذاته عليه ان يمرن اذنه على سمع الفاظ فصيحة وجمل بليغة حتى اذا ما رسخت في ذهنه اصبحت ملكة له على الانشاء البليغ · وهذا امر لا يقدر عليه الادراك وحده

ولا يظن القارئ انه من السهل موافقة الانكليزية المحكية في انكلترا للانكليزية المحكية في اميركا · فان ابناء الاميركان قد جلبوا معهم مفردات واصطلاحات استعملوها في اميركا وسلموها لنسلهم ومن ثم قام كتابهم وشعراؤهم واستعملوا تلك الالفاظ واجادوا فيها فلم يبق في طوق الاميركيين اليوم ان يغيروها ولا هم يريدون ذلك لظنهم انه حطة لهم · ولكن من الواجب عليهم ان يطالعوا كتاب الانكليز فهم اكثر من كتابهم وأعرق في اللغة وأرسخ قدماً · ولكن ليس من الرأي ان ينسخوا عنهم وعيونهم مغمضة

بقي ان اقول كلمة في انكليزية الاخوان السوريين في هذه البلاد · ففيهم كثيرون اتقنوها في المدارس الاميركية في سوريا و بعضهم اتقنها في مدارس هذه البلاد · اما الاكثرون فهم يتكلمون انكليزية نرجو منهم ان يلتفتوا الى اصلاحها لانها دون الانكليزية الاميركية بمراحل وكثير من الاميركان لا يفهمها · ولا تقتضي انكليزيتنا الا شيئاً من العناية وقوة الارادة والدرس · وهذا احد مواضع الاصلاح التي نحتاج اليها ليمكننا الامتزاج بأهل البلاد · وبدونه نظهر لهم عند اول كلمة نلفظها على مسمع منهم اننا قوم دونهم غرباء فنخسر جزءاً ليس بيسير من قوتنا في معاملاتنا معهم

بشور بشور

باب التقريظ والانتقاد

السلطتان

بشان مقالة في المؤيد الاغر لمحمد افندي كرد علي

صاحب مجلة المقتبس الغراء

في هذا الطوفان الكتابي الذي يجري على صفحات الجرائد والمجلات العربية ويحمل الافكار المختلفة المتقابلة والآراء الراجحة والمرجوحة قلما ترى من يقف عند فصل او فكر وقفة الباحث المتأمل · وقد أذكرنا هذا الامر مقالة عنوانها ,,السلطتان‘‘ نشرها في المؤيد المصري الاغر جناب الرصيف الفاضل والكاتب المجيد محمد افندي كرد علي صاحب مجلة المقتبس الغرآء · والحق يُقال اننا اعجبنا بجرأة المؤيد على نشر هذا الفصل كاعجابنا بجرأة الرصيف الذي كتبه

يذكر القرأ البحث الذي دار منذ اربعة اعوام بين الجامعة وفقيد الشرق والاسلام المرحوم محمد عبده مفتي الديار المصرية لعهده · وقد وضعت الجامعة كتاباً في هذا الموضوع عنوانه ,, ابن رشد وفلسفته‘‘ لان البحث كان عن فلسفة هذا الفيلسوف العربي الشهير · ومن قرأ الكتاب وجد مداره على القول بوجوب فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية لتستقيم السياسة في الامة · وكان رأي الاستاذ رحمه الله ان هذا الفصل متعسر او متعذر لان السلطة الدينية تسوس الارواح والسلطة السياسية تسوس الابدان فكيف يمكن الفصل بينهما ·

وكان من حق الاستاذ الامام ان يقول هذا القول لانه كان احد ائمة الدين ·

وكانت الجامعة تحت سماء الشرق اول من جهر في ذلك الكتاب بصوت عالٍ وبدعوة مقصودة ,, كانت وما زالت اساس مبادئها ‘‘ بوجوب فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية في كل امة لتستقيم تلك الامة · ولها على دعوتها هذه ادلة نشرتها في ذلك الكتاب · وقد سرّنا ان الرصيف صاحب المقتبس وهو من افاضل المسلمين السوريين المتمصرّين والكتاب الذي يُعبرون عن رأي المتنبهين في الامة قد رأى هذا الرأي ايضاً في مقالته ,, السلطتان ‘‘ التي نحن الآن في صددها · فقد قرّع فيها سلطان مراكش تقريعاً شديداً لانه يمزج الدنيا بالدين ويصغي الى اقوال الفقهاء وتحريضهم اياه على الاوروبيين وغير الاوروبيين · ونصحه بألا يعتمد في سياسة مملكته الا على رجال السياسة واذا اعوزوه فيجب ان يلتمسهم من خارج بلاده

ونحن نوافق الرصيف على قوله هذا · ولكننا ما فهمنا جيداً مراده بالفصل بين السلطتين في مراكش · مثلاً اذا التمس سلطان مراكش الساسة من خارج بلاده واسترشد بهم في سياستها وبقي مع ذلك جامعاً بين ,, الخلافة ‘‘ و ,, السلطنة ‘‘ فهل يُسمي حضرته هذا الفصل فصلاً بين السلطتين · فان قال نعم اسميه كذلك فجوابنا انه ليس من الفصل في شيء · وان قال كلا بل مرادي ان يكون مولاي عبد العزيز سلطاناً ويجعل الخلافة في غيره (اذا صحّ ان في مراكش خلافة كما يفهمها اخواننا المسلمون في مشارق الارض ومغاربها) فرأيه لا غبار عليه عندنا وعند كل من كان على رأينا

ولكن يلوح لنا ان مراد الرصيف هو الامر الاول دون الثاني · لانه يعتبر الان ان السلطتين منفصلتان في الاستانة لان جلالة السلطان لا يعمل برأي الفقهاء وانهما لم تكونا منفصلتين في زمن السلطان سليمان القانوني لان هذا السلطان

كان يطيع اشاراتهم و يعمل بآرائهم · وعليه فالفصل عنده متوقف على إرادة الحاكم فان اطاع الحاكم الفقهاء كان الاتصال وان عصيهم كان الانفصال · ولكننا نعتقد ان للانفصال سبباً أهم وأعظم من هذا · فهو عندنا وعند الذين يقولون بوجوبه وسيلة لا غاية · وان قيل الى اي شيء هو وسيلة اجبنا انه وسيلة الى وضع شرائع عمومية يستوي لديها جميع عناصر الناس حتى المؤمن والكافر وإرجاع (السلطة) الى مصدرها الحقيقي الذي هو الشعب · فالجمع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية في يد الحاكم يجعل سلطته من الله كما هي الحال في روسيا وتركيا ومراكش وغيرها · ولكن اذا فُصلت السلطة السياسية عن السلطة الدينية كما فُصلت في رومه مثلاً اصبحت سلطة الحاكم مستمدّة من الشعب وأمكن حينئذ تقييد الحاكم بمجالس شورى ودستور وشرائع عمومية تسوس جميع عناصر الشعب ومذاهبه سياسةً واحدة دون تمييز ولا محاباة

ان مقالة الرصيف محمد افندي جميلة ونعتبرها حجرًا جديداً من جملة الحجارة الجديدة الاولى التي توضع الآن في بناء الشرق الجديد · ولكننا ننتظر من كاتب مثله ما هو اكثر من هذا وأشد صراحة لنضغط جميعاً معاً على البناء القديم · ونحن عالمون انه لا يمكن الآن هدم هذا البناء ولكننا نستطيع على الاقل اكثار عدد الذين يرون معنا انه اصبح لا يتفق مع مقتضيات الحالة الحاضرة لا سيما وانه حجة لاوروبا علينا والوسيلة التي تتذرّع بها للدخول في شؤوننا حتى ما كان منها داخلياً خاصاً بنا وحدنا

ان فصل الخلافة عن السلطنة وجعل الخليفة مختصاً بالامور الدينية والسلطان بالامور السياسية لسياسة جميع الشعب سياسة واحدة · وحصر الدين في الكنائس والجوامع ورفعه من المدارس لتربية جميع ابناء الامة فيها تربية واحدة اساسها الآداب والمبادئ المدنية — تلك هي الوسيلة الوحيدة لتوحيد كل أمة

ابتلاها الله باختلاف العناصر والمذاهب · وبدون هذا التوحيد لا أمل للامة في النهوض نهضة حقيقية

السيدات السوريات

في الولايات المتحدة

للدموازل روزا انطون



تكلمت في مقالتي الاولى في الجزء السابق عن سيدات مصر السوريات ومقامهن في الهيئة الاجتماعية فيها ووعدتُ بالكلام عن سيدات اميركا السوريات في مقالة ثانية · وقلت في ذلك الفصل (سيدات نيو يورك) لا سيدات الولايات المتحدة لانني لم احظَ بعد بمعرفة واحدة من اخواتي السيدات والاوانس المقيمات في الداخلية ولكنني سمعت عنهن كثيراً ولذلك اجعل كلامي عن السيدة السورية في الولايات المتحدة اجمالاً

قلتُ في مقالتي السابقة ان السوريات حيث كنَّ فهنَّ هنَّ · ومن مزاياهن انهنَّ كرجالنا سريعات الاقتباس من الوسط اللواتي يعشنَ فيه · فاكثرهنَّ قدمن الى هذه البلاد لا يحسنَّ اللغة الانكليزية ولا يعرفن شيئاً من عادات الاميركيين واخلاقهم · فأخذن يفتحن طريقهن بايديهن مع ازواجهم واهلهن مساعدات لهم في الاعمال · فكان الامر صعباً جدًّا عليهنَّ في بدء الامر ولكن طور الصعوبة الآن زال وجاء طور الانتقال · فنشأت في جميع جهات اميركا بيوت سورية جميلة مرتبة نظيفة فيها السيدة السورية ملكة في مملكتها شأن كل سيدة في بيتها · وقد ساعدهنَّ على ذلك ربح ازواجهنَّ واهلهن المال في السنوات الخمس الاخيرة

ربحاً عظيماً فتأنقن في ملابسهن ومنازلهن فابتعن المنازل وفرشنها بافخر الاثاث ورتبنها أحسن ترتيب حتي ان كثيراً من المنازل السورية اذا دخلت اليها لم تفرق بينها وبين المنازل الاميركية بشيء

قلت (ابتعن ورتبن) لان للمرأة السورية في الولايات المتحدة فضلاً عظيماً في رواج اعمال المهاجرين فكثير من المحلات التجارية أصل غناها أنامل آنسة لطيفة وسعيها • وقلما ترى عيلة سورية في اميركا الا رأيت للآنسة والسيدة فيها فضلاً عظيماً ان لم أقل الفضل الاعظم في اسعاد حال تلك العائلة • فان الاميركان يحترمون السيدات احتراماً ليس لهن في اوروبا نفسها • والزوج او الاخ اذا كان في شغله مصحوباً بزوجته او أخته يسهل كل صعب امامه خصوصاً في هذه البلاد التي نساؤها تشتغل وتعمل عمل الرجال

ربما يُستفاد من قولي هذا انني موافقة على ان تعمل المرأة كالرجل خلافاً للحالة في الشرق حيث النساء يجلسن في المنازل والعمل من شؤون الرجال وحدهم • فانا اوافق على عمل النساء على شرط ان يكون مقروناً بعمل الرجل • فان السيدة او الآنسة التي تشتغل مع زوجها او اخيها ليس في شغلها ما يحط من كرامتها لانه يكون بجانبها حامياً لها وسنداً لضعفها

ماذا أحدث سيدات مصر والشام السوريات عن اخواتهن في اميركا • اول ما لاحظته انهن لا يلعبن (بوكراً) ولا أي لعبة من الالعاب التي تفني قوتهن بالسهر ومالهن بالخسارة • فعجبت لذلك واستحسنته أشد استحسان • نعم ان بعض السيدات يراهن في سباق الخيل هذا الداء الذي فشا بين رجالنا هنا ايضاً ولكنهن نادرات

ولاحظتُ ايضاً صبرهن العجيب وقوتهن على خدمة منازلهن • ففي مصر والشام ترى المنازل غاصة بجيش الخدامين اما هنا فالسيدة تلاحظ شؤون بيتها

بنفسها وتعتني فيه بكل كبيرة وصغيرة حتى شراء حاجات السوق اليومية في بعض الاحيان . ربما تستغرب سيدات مصر وسوريا هذا الامر ولكن لا ينسين اننا هنا في وسط اميركي فيه العمل مقدَّم على كل شيء وهو شرف لصاحبه أيًا كان . وفي كثير من المنازل خدامات ولكن هؤلاء الخدامات قلما يفعلن في المنزل غير الامور الخشنة الصغيرة المتعبة والباقي تديره ربة المنزل نفسها

حين مروري في باريز حظيت بمعرفة حضرة الآنسة الفاضلة مدموازل مسرَّه شقيقة جناب الفاضل جرجي افندي مسره التاجر فيها . وبينما كنا نتحادث في امر المهاجرة والمهاجرين قال حضرته اننا بعد ما قرأنا الفصول التي نشرتها مجلة الجامعة بشأن اخواننا السوريين المهاجرين في الولايات المتحدة في الاجزاء الاولى من عامها هذا اصبحنا نعرف حقيقة تقدمهم وارتقائهم وصرنا ننظر اليهم بعين غير العين التي كنا ننظر اليهم بها من قبل . اقول فانا الآن احب من سيدات مصر والشام ان يحصل لديهن انقلاب كهذا الانقلاب بشأن سيدات اميركا السوريات . فاخبرهنَّ بسرور ان اخواتهنَّ هنَّ أرقى بكثير مما سمعنه ومما عهدنه فيهنَّ . انني لا اتزلف اليهنَّ واغشهنَّ بقولي انه لا ينقصهنَّ شيء وانه ما عليهنَّ الآن يسترحن بعد ان أسسنَ ما أسسن وأنشأنَ ما أنشأنَ . كلا فانني لا اغشهن هذا الغش . وربما ذكرتُ في مقالات تالية ما أراه من الامور التي يحتجن اليها هنا . ولكني اقول ان ما فعلنه للآن في اميركا مع وضع الحوادث النادرة الشاذة جانبًا أمر يحق لهنَّ الافتخار به ويوجب على اخواتهنَّ في الخارج ان يغيّرنَ رأيهنَّ فيه

كل شيءٍ في هذه الحياة لا يأتي الا تدريجًا واؤمل ان العائلة السورية في اميركا آخذة بالتدرج في التقدم اذ عليها تتوقف حقيقة تقدم السوريين تقدمًا حقيقيًا . لان ربح المال وحده لا يكفي . وانما الاساس الصخري الذي يوجد

التقدم الحقيقي هو ,, نفس السيدة الفاضلة ''

وقد بدأ الفضل يظهر بين سيدات المهاجرين لحين وصولي الى نيويورك علمت باستعدادهن لتأسيس جمعيةنسائية خيرية لمساعدة المرأة السورية في هذه البلاد . وقد تأسست هذه الجمعية الكريمة من كثيرات من فضليات السيدات وغرضها مساعدة المهاجرات في دار المهاجرة ووضع البنات السوريات في المدارس وغير ذلك . وقد ذكرتُ في مقالتي الاولى شأن سيدات مصر اللواتي ينزلن في ليلة عيدي الفصح والميلاد لافتقاد منازل الفقراء وتوزيع الطعام والكساء عليهم بانفسهن . فرأيت هنا ايضاً بين سيدات نيويورك الكريمات صدى لهذا الفعل الجميل وصورة اخرى . فان جمعية السيدات علمت بقدوم أرملة وحيدة وعدة اولاد الى ادارة المهاجرة فسار ثلاثة اعضاء من هذه الجمعية الكريمة في نيويورك الى ادارة المهاجرة والمسافة طويلة فافتقدنَ الارملة واولادها وزودنها بالنصائح والمال والارشاد وتولينَ أمر اخراجها وكفالتها لدى ادارة المهاجرة . بارك الله في همم الكريمات (روزا انطون)

﴿ روايات الجامعة ﴾ لا ريب في ان جميع قراء الجامعة يتتبعون رواية ,, مريم قبل التوبة '' التي ننشرها كذيل للمجلة . ومريم هذه هي مريم المجدلية المعروفة في الانجيل بمريم الخاطئة . ونحن الآن في القسم الغرامي من هذه الرواية وستليه الاقسام الاجتماعية والفلسفية والدينية مما يجعل لهذه الرواية جمالاً خاصاً مستمدًا من جمال مريم التي اصبح اسمها بعد توبتها وصلاحها خالداً في تاريخ الانسانية

الفصل الخامس

﴿ كتاب وشاب ﴾

وفي صباح اليوم التالي كانت مريم جالسة تحت تينة في حديقتها ورأسها مسند الى يدها تتأمل في الفضاء الواسع الذي امامها . وكان على وجهها مسحة من الاصفرار نشأت اما عن النوبة التي اصابتها امس واما عن اضطرابها وارقها في الليلة السابقة

وكانت مريم قد بكرت في ذلك الصباح بكور الغراب ولم تنبه حنه من نومها لتتمتع بلذة التأمل والتفكير وحدها اذ لا يلذ اصحاب الهواجس والوساوس شيء كالانفراد والتفكير في معزل عن الناس . ولكن لم ينقضِ عليها نصف ساعة تحت التينة حتى ابصرت حنه مهرولة نحوها وفي يدها رقٌ للكتابة . وكانت حنه في هذا الصباح اجمل من مريم لانها كانت قد نامت نوماً طويلاً هادئاً هذا اذا كان معنى الجمال نضرة الورود في الخدود . ولكن جمال مريم كان جمالاً خاصاً بها لا يدانيه جمال . فلقد كانت كوردة نيسان جميلة في ذبولها ونضرتها

ولما صارت حنه عند مريم مدت اليها يدها وناولتها الرق وهي تضحك وقالت : اتظنين هذا الخط خط يوليوس

فلما سمعت مريم اسم يوليوس عبست وتناولت الرق دون اهتمام . وبعد ان القت نظرها عليه قالت غير مكترثة ليس هذا الخط خط هذا الكلب الروماني . فانه لو كتب لي لكتب بلغتنا لا باللغة الرومانية . فلعل احد هوءلاء الرومان الادنياء اراد المزاح فكتب هذا الكتاب . ولكن اين وجدته

فقالت حنه انني وجدته في نافذة غرفتك مطوياً وعليه حجر لئلا يطيره الهواء . اتظنين انه من شيشرون

فقالت مريم وقد رفعت شفتيها بازدراء وامرّت يدها على عينيها متنهدة . كلا فان شيشرون رآني امس في الحالة التي كنت فيها وهو يعلم ان قلبي لا يحب المزاح في مثل هذه الحالة . ما لنا ولهذا الكتاب ايتها العزيزة حنه . انك تعلمين ان من كان مثلنا يجد في طريقه كثيراً من امثال هذه الصغائر . وهي اذا كانت عند فاعليها شيئاً يدل

على المزاح والمداعبة فانها عندنا دليل على السخافة والصغار . اعطيني يا عزيزتي ردائي الثقيل فان في عزمي التنزه في الوادي القريب لعلي استعيد شيئاً من قواي التي فقدتها أمس .

فدنت حنه من مريم واخذت رأسها بين ذراعيها باسمة ثم قبلته وقالت : الى هذا الحد تحبينه يا مريم

فرفعت مريم رأسها مدهوشة وقالت من تعنين

فقالت اني اعني الشاب الذي جزعتِ لفراقه أمس ذلك الجزع

فقهقهت مريم وصاحت : تعنين يوليوس : قه قه قه ثم قالت انني احبه حبي لهذا الحجر الذي ابصق عليه . وبصقت على حجر كبير كان بجانبها . ثم مسحت جبينها بيدها واردفت قائلة : اتظنين من كان مثلي يُحِب اتظنين من كان مثله يُحَب . ان قلبي كهذا الحجر الذي بصقت عليه . وفي بصقي عليه بصقت على جميع البشر . اذهبي يا حبيبتي اذهبي وأتني بردائي واذا فرغت من إعداد الطعام وانتصف النهار ولم اعد فتغدي وحدك

فضحكت حنه وقالت تنزهي وانبسطي ابنتها العزيزة فقد قاسيتِ أمس آلاماً شديدة .

وبعد ربع ساعة كانت مريم سائرة في طريق الوادي مطرقة الى الارض . وكأن الحديث الذي جرى بينها وبين حنه قد اعاد القوة الى نفسها بعد الضعف والوهن الذي اصابها آنفاً . وهكذا حالات النفوس فان شيئاً صغيراً يثيرها ويقويها وشيئاً صغيراً يضعفها ويوهيها

وكانت مريم في هبوطها في الوادي تقف حيناً بعد حين عند الازهار البرية وتقطف اجملها . فجمعت منها ثلاث ضمات غرست احداها في شعرها واخرى في صدرها وحملت الثالثة في يدها . وكان نسيم الصباح يُميل الازهار والنباتات حولها . فلو رآها الشعراء حينئذٍ لقالوا ان تلك الازهار كانت تنحني وتسجد لجمالها . او انها كانت تنطرح نحوها لتحظى بنعمة الانضمام الى اخواتها المغروسات في شعرها وصدرها .

ويظهر ان مريم كانت قاصدة بيتاً قائماً في ما وراء الوادي على اكمة تقابل الاكمة القائم عليها بيتها . ولذلك كانت في طريقها تطيل النظر في جهة ذلك البيت لعلها ترى احداً فيه . فانحدرت بين كروم العنب واشجار التين وما وقفت في طريقها الامرتين

لتقطف في المرة الاولى حبة عنب وفي الثانية ثمرة تين . وقد مصت الحبة ولفظتها اما ثمرة التين فاكلت منها قطعة ثم رمتها . فكان ظاهراً ان مزاجها مضطرب في ذلك الصباح وقابليتها للطعام معدومة

واذ توسطت الوادي التفتت الى رمانة كانت قد اعتادت الجلوس تحتها وحولها الغنم والماعز والبقر ترعى فابصرت رجلاً مستلقياً على الارض وفي يده كتاب يقرأه فيه ويده الاخرى على رأس غنمة كانت ترعى بجانبه وتركت المرعى واخذت تنظر اليه .

فقالت مريم في نفسها هذا هو الراعي ثم حادت عن الطريق وقصدته لعلّ شيئاً من اللبن ينفعها في ذلك الصباح ويردّ اليها قواها

ويظهر ان الرجل لم يسمع صوت قدمي مريم اوسمعه ولم يلتفت اليها. فلما صارت بجانبه وقفت وقالت وقد شككت في كونه راعي الغنم

— اين الراعي

فرفع الرجل رأسه من كتابه وجلس ناظراً في وجه مريم . فدهش لاول وهلة ثم تغلب على دهشته واجاب بلطف وادب : لستُ اعلم ايتها السيدة المحترمة فلعله صعد الى ما وراء الاكمة . هل تطلبين شيئاً منه

فاجابت مريم . انني اريد شيئاً من اللبن (الحليب) فقد ظمئتُ في طريقي وتعبت فلعلّ اللبن يرد اليّ قوتي

وكان الرجل في خلال ذلك يتامل في مريم ومريم تمعن النظر فيه . ويظهر ان نظر كل واحد منهما في وجه الآخر قد انتج نتيجتين متناقضتين . فان لوائح وجه مريم اتخذت بعد ذلك علائم الاستخفاف والهزء ولوائح وجه الرجل اتخذت علائم الدهشة والاحتشام .

وفي الحقيقة ان شخصية كل منهما كانت تدعو الى ذلك . فان الرجل لما رأى نفسه امام سيدة كبيرة الهامة بارعة الجمال انيقة الملبس جريئة في الكلام حادة النظر تصاغر لديها واحتشم . وهي لما رات نفسها امام شاب في نحو الثانية والعشرين صغير الجسم حقير المنظر تعالت وشمخت

ولما سمع الشاب انها تطلب لبناً القى كتابه على الارض ونهض وهو يقول . اذا سمحت لي السيدة خدمتها بنفسي وكفيتها عناء انتظار الراعي

ثم تناول وعاء من فخار كان بجانبه بين امتعة الراعي واسرع الى بقرة فحلب منها شيئاً في الوعاء ودفعه الى مريم

فاثرت في مريم هذه العناية فتناولت الوعاء شاكرة ثم انزوت عنه واخذت تشرب اللبن . ولما ارتوت اعادته الى الارض وقالت . هذه الرمانة رمانتي وطالما جلست تحتها اسمع نشيد البلابل والحمام واصوات مزامير الرعاة من بعيد في هذا الوادي . ومنذ اسبوع كنت جالسة هنا في مكان هذا الكتاب اتأمل في الارض والسماء واذا ببلبل قد وقف على الرمانة فوقي واخذ يغرّد تغريداً لم اطرب من شيء في حياتي كطربي منه . ولم يكن بيني و بينه من المسافة الا طول انسان . ها. اسمع فانني اسمع صوت البلابل

ولم تكد مريم تتم عبارتها حتى رات بلبلاً قادماً من بعيد بقصد الرمانة . فاشرقت اسرتها وضحكت واومأت الى الشاب ان يسكت و يجلس لئلا يطير البلبل ثم جلست متأنية وجلس الشاب والتزما السكون

وكان البلبل قد وقع على الرمانة ورفيق له وقع على تينة تجاهها . واخذ الاثنان ينشدان و يتجاوبان باصوات تثير الاحزان والاشجان . فكانت مريم تضحك ملء فيها ونفسها الصبيانية تتلهى بمنظرها ونشيدها كما تتلهى نفوس الموسيقيين باشجى الالحان الموسيقية . ولا عجب في ذلك فان نفسها كانت قد ربيت في الخلاء بين الاشياء والكائنات الطبيعية وأَلِفتها . و يظهر ان بلبل الرمانة اقنع في نشيده بلبل التينة ان يأتي اليه فطار ووقع على الرمانة بجانب رفيقه واخذ الاثنان يتناشدان و يتداعبان و يتلاعبان . وكان الشاب في تلك المدة اشد اشتغالاً بمريم منه بالبلبلين فكان ينظر الى البلبلين ظاهراً ولكنه كان ينظر الى مريم باطناً . فكانّ نفسه كانت مشتغلة عن بلابل الرمانة ببلابلها التي ثارت عند مشاهدتها مريم . فاختلس النظر الى مريم وهي شاخصة في الرمانة فراى ان لوائح وجهها قد اخذت تتغير . وراى ان قد حلّ فيه التأمل والتفكير محلّ الضحك والخفة واتخذ هيئة الحزن والكآبة الشديدة

وبعد عشر ثوانٍ رأى دمعتين تنحدران من عينيها على وجنتيها . فكانت هاتان الدمعتان ناراً أحرقت قلبه ودهش لها دهشة ما بعدها دهشة فاخذ يقول في نفسه من عسى ان تكون هذه المرأة الجميلة الانيقة الجريئة ؟ وكيف انفردت في هذا الوادي ؟ وما سبب ضحكها وخفتها منذ حين و بكائها الآن ؟ العلها مجنونة ؟ كلا فان كل شيء في عينيها وكلامها وملابسها يدل على عقلها . فما سرّ هذه المرأة الغريبة

ولم ينته الشاب في تفكيره الى هذا الكلام حتى صاح صائح من وراء الرمانة : يا قديس يوسف . ماذا تفعل عندك

فذعر البلبلان لهذا الصوت وطارا والتفت الشاب ومريم الى الجهة التي ورد منها الصوت .

ثم مسحت مريم دموعها ونهضت وسارت في طريقها دون ان تلقي سلاماً على الشاب . فشيعها الشاب بنظر حزين كئيب وقد زادت دهشته من امرها

وكان القادم راعي المواشي وقد عاد من حاجة ذهب لقضائها . فلما وصل الى الرمانة قهقه وقال : ما شاء الله ايها النبي يوسف كنت تجالس الكتب من قبل اما الآن فاصبحت تجالس النساء

ثم لم يمهله في الجواب فقال : وهل تعلم ايها القديس اية امرأة كانت جليستك

فحملق الشاب وقال اتعرف هذه السيدة

فقال الراعي : تقول هذه السيدة ؟ ؟ قه قه قه .. انك تسميها سيدة ولكنها ايها القديس ليست بسيدة .. بل هي ليست بامراءة

فزاد الشاب حملقة وقال : ما هذا المزاح البارد يا متى . اخبرني ما مرادك

فقال الراعي : اقول لك ان هذه الجثة التي كانت جالسة بجانبك ليست بسيدة ولا امراءة

فقال الشاب متهكماً : لعلك تزعم يا ابله انها رجل

فقال كلا كلا يا قديس . وانما هي شيطان ... استغفر الله . بل هي شيطان يسكن فيه سبعة شياطين .. يا رب ارحم . وكيف تركتها تدخل بين غنمي و بقري . هل لمست بعضها ؟

فقال الشاب كلا

فقال الراعي الحمد لله . اشكر الله

فقال الشاب ولكنها شربت من لبن حلبته انا من تلك البقرة

فصاح الراعي . يا رب ارحم غداً تموت البقرة . لا ريب ان احد الشياطين السبعة قد دخل فيها

ثم اسرع الراعي الى البقرة واخذ يفحص وجهها وثديها و بطنها وظهرها ولوائح الاهتمام بادية في وجهه

وكان الشاب في اثناء ذلك يتامل في كلام الراعي مستغرباً . فلحق به وقال

— اخبرني الآن بهدوء ما مرادك من كلامك ومن تكون هذه المرأة

فقال الراعي وقد ابتسم لاطمئنانه عن سلامة بقرته : انني اخبرك عن حقيقتها بكلمة واحدة فيكفي ان اقول لك انها (مريم المجدلية)

فزاد استغراب الشاب وقال . انت تعلم انني لم افد على هذه القرية الا منذ يومين فانى لي ان اعرف هذه المرأة لمجرد ذكرك اسمها

فاجلس الراعي الشاب على العشب واقبل عليه يخبره همساً في اذنه خبر مريم المجدلية . وكان الشاب تارة يصفر وطوراً يحمر في اثناء حديث الراعي . ولما اتى الراعي على حديثه نهض الشاب وقد تابط كتابه وقال وقد اظهر عدم المبالاة . انني مودعك الآن يا متى الى الملتقى . ثم سار وراء مريم وهو يقول في نفسه . وااسفاه واضيعتاه لنفسك ولجسمك يا مريم

الفصل السادس

﴿ ضربة اخرى ﴾

ويظهر ان مريم اختصرت نزهتها بعد هذه الحادثة وعدلت عن المسير الى البيت الذي اشرنا اليه آنفاً فلما عادت الى منزلها كانت عيناها حمراوين منتفختين من البكاء . فدخلت الى المطبخ وغسلت وجهها بماء بارد فاستقبلتها حنة ضاحكة وقالت . قد قدم شيشرون في غيابك وترجم لي الرسالة التي وجدتها في النافذة وهذه ترجمتها . ولكن هل تعلمين كاتبها . فاجابت مريم دون اكتراث والضجر بادٍ في وجهها . كلا لا اعلم . فقالت حنه ان كاتبها هو الشيخ الروماني العظيم الذي زارك امس مع ابنه

فدهشت مريم وقالت باهتمام : سنيكا ? واين ترجمتها

ثم تناولت الرق وقرأت فيه الترجمة تحت الاصل وهذا نصها

« لقد زار هذا البيت روماني وشاهد فيه الانسانية المعذَّبة . وقد رام ان يجعل لزيارته هذه ذكراً في نفس المراة المسكينة التعيسة التي تقيم فيه . فلو قدَّم لها هدية ثمينة لتبقى لديها

تذكاراً لزيارته لمكان في مدينته اهانة له ولها فضلاً عن دلالتها على اشتراكه في الرضى عن تعاستها وتشجيعها عليها .. وعنده ان هذا الكتاب خير هدية منه اليها

« مررت في مجدل تحت سماء زرقاء فوق ارض خضراء فرأيت وردة فيحاء في مزبلة

« مررت في وادٍ من زجاج متحطم بين بقايا مواد قديمة فرأيت فيه ماسة جميلة ساطعة كالشمس ولكنها ملوثة مهملة

« ايتها الوردة ايتها الماسة . لم تخلقي لتكوني حيثما انتِ . اهربي اهربي من مكانك ليظهر للناس جمالك . نفسك من جوهر ولكن جسمك من وحل . اخرجي اخرجي لتطهير نفسك وجسمك

« كل شيء طاهر حولك في الارض والسماء . كل شيء في الطبيعة مطمئن محبوب محمود . ازهار البر ترفع راسها بعزة وكبرياء مفاخرة بجمالها وعبيرها . طيور البر تسبح خفيفة نشيطة وتتداعب على الاغصان مسرورة بالفتها . البشر حولك يتعبون ويشقون ويضنون واحمال الهموم تثقل نفوسهم ولكنهم مسرورون بانهم يعيشون وهم اهل لاحترام بعضهم بعضاً . وانتِ انتِ ايتها الوردة والماسة مع كونك اجمل واظرف منهم تعيشين مضطربة منفردة ذليلة منبوذة مكروهة » . فلما قرات مريم هذا الكتاب صرفت وجهها عن حنه لئلا ترى عينيها ثم وضعت الكتاب في ثوبها ودخلت الى غرفتها

ولما صارت منفردة في غرفتها اغلقت الباب ووضعت كفيها على وجهها كانها تروم حبس دموعها واطرحت على فراشها . وبعد ان بكت برهة عادت فجلست واخرجت الكتاب ووقفت فيه عند هذه العبارة

« طيور الجو تسبح خفيفة نشيطة وتتداعب على الاغصان مسرورة بالفتها »

فيا للصدفة والاتفاق الغريب . ان مريم بكت تحت الرمانة من منظر زوج من البلابل يتداعب ويتآلف امامها بينما هي فريدة في الدنيا كلها . وهوذا الاديب سنيكا يلطم وجهها في كتابه بهذا المثل صدفة واتفاقاً ويبكيها مرة اخرى من اجله

ولما استبطأت حنه مريم دخلت الى غرفتها فسمعت من الباب صوتها فهرعت اليها لان المسكينة كانت حضرتها نوبتها . وبعد حين اخذت مريم في اثناء النوبة تصرخ صراخ الالم والعذاب . فاخذت حنه تفك ثيابها عنها وتتولى مداراتها . وبينما كانت مريم تنتفض من الالم وتصرخ وحنه تعنى بها وتنظر الى الباب والى النافذة

لعلها ترى شيشرون قادماً لمساعدتها واذا برأس قد اطلَّ من النافذة ونظر في الجهة التي كان صراخ مريم وارداً منها . واذ وقعت عيناه على عيني حنه عاد فجأة واختفى وراء النافذة

فاسرعت حنه الى النافذة فراءت منها شاباً يُسرع الخطى و يبتعد عنها فاسرعت الى الباب فخرجت منه فابصرت على الطريق امامها شاباً في زهرة الشباب وفي يده كتاب . فاستوقفته فوقف ولكن يظهر ان جميع دم الشاب انصرف الى وجهه حين استوقفته حنه فاصبح قرمزي اللون الا انه كان مع شدة تاثره يُظهر ثبات الجاش والسكينة

اننا نحكم على عيوننا فنجعلها تخفي ما زوم اخفاءه . وعلى اجسامنا فنجعلها تسكن وداخلها مضطرب ثائر كبركان . ولكننا لا نستطيع التسلط على دمنا فهو يفور او يغور بالرغم منا ويدل على بواطننا

فساءلت حنه ذلك الشاب متلطفة ان يتفضل و يدخل معها الى المنزل لمساعدتها على معالجة ابنة عمها المتالمة لانهما منفردتان في البيت وهي تخاف وحدها . فاسرع الشاب واجابها الى ما طلبت وهو في الحقيقة مسرور بهذه المساعدة

وبعد نصف ساعة فتحت مريم عينيها بهدوء فوقعتا على هذا الشاب وكتابه في يده . فتولتها دهشة شديدة . اما الشاب فابتسم لها متلطفاً وقال : يظهر ان نزهتك في الوادي قد اتعبتك ايتها السيدة فكيف حالك الآن

فنظرت مريم في وجهه تفحصه جيداً واجابت : حالي كما ترى

فقال الشاب انني منذ فارقتني تحت الرمانة رابت في وجهك انك متالمة فهل تشكين مرضاً

فاجابت مريم وقد تثاءبت دلالة على ضجرها من حديثه ـ انني اشكو ما ترى

فقال الشاب ـ انني اراك في خير واسال دوامه لحضرتك . وما هذا الا نتيجة التعب وشدة احساس السيدات . ثم قال وقد اشتدت حمرة وجنتيه : اما انا فانني اتيه في هذه الارض و كتابي في يدي كما ترين . ولا يلذ لي شيء كالسياحة والقراءة . فبلسياحة اقوي جسمي و بالقراءة اقوي نفسي . وقد مررت الان اتفاقاً من هنا فسمعت صوت الآمك ثم ابصرت ابنة عمك فسالتني ان ادخل لمساعدتها على العناية بك فدخلت مسروراً بان اقوم بخدمة لها ولك

فتثاءبت مريم مرة اخرى واجابت شكراً لك ثم غلب عليها التثاؤب لضجرها فوضعت كفها على فمها وتثاءبت ايضاً . وبعد ذلك اغمضت عينيها وابقتهما مغمضتين كأنها تنظر بهما في داخلها

فاغتنم الشاب هذه الفرصة واخذ يتأمل في وجه مريم . فمن رأى عينيه وهو ينظر بهما الى هذه الحسناء رأى أجمل سذاجة ودهشة ولذة اجتمعت تحت جفني انسان . وانما كانت دهشة عينيه حينئذٍ كدهشة ولد رأى شيئاً لم يرَ مثله في حياته

وكأنَّ الشاب شعر بان اغماض مريم عينيها بمثابة دعوة له ان ينصرف . فلم يجد من الادب وسلامة الذوق ان يطيل الاقامة في ذلك المنزل الذي دخل اليه وجلاً خائفاً . ومن جهة أُخرى فانه كان يتمنى ان يقع له فيه ما يمكّنه من الاقامة فيه حيناً ريثما تنتبه مريم لرغبته في محادثتها والاطلاع على حالة نفسها

وبينما هو يفكر بذلك وقد همَّ بالانصراف واذا بحنه قد دخلت وفي يدها رسالة . فنادت مريم ففتحت مريم عينيها . فاومأت اليها حنه ان تتبعها . فنهضت مريم ضعيفة خائرة القوى . ولما صارت عند حنه في الغرفة الثانية دفعت اليها حنه الرسالة فقرأتها مريم وعبست . ثم فكرت قليلاً . ثم أمرَّت يدها على جبينها وقالت ولكنني مريضة يا رباه . ثم فكرت حيناً . وبعد ترددها هذا ذهبت الى خزانة ملابسها وتناولت منها ثوباً ناصع البياض مزيناً الخز زينة ولعله كان أجمل اثوابها . ثم قصدت الماء فغسلت وجهها ورتبت شعرها ولبست ثوبها ودنت من ضمة زهر من القرنفل كانت في النافذة فقطفت منها ثلاثاً واحدة حمراء غرستها في شعرها واثنتين واحدة بيضاء وواحدة وردية علقتهما في صدرها فوق قلبها . ثم خرجت من المنزل كأنها سائرة الى مأتم لا الى نزهة او ملهى لفرط الكآبة التي كانت بادية في وجهها

اما الشاب فانه لما رآها قد انصرفت دون ان تلتفت اليه لدغت قلبه عقارب الغضب لاحتقارها أياه الى هذا الحد · فخرج من المنزل دون ان يحيي رفيقتها حنه

الفصل السابع

انقضاض الصاعقة

وقد خرج الشاب من المنزل ونزل الاكمة من الجهة المؤدية الى قرية مجدل وهي الجهة التي تقابل الجهة التي جاء منها من تحت الرمانة · وكان في اثناء مسيره يقول في نفسه :

ما كان ينقصني الا احتقار هذه المرأة الساقطة · لقد سارت دون سلام ولا كلام كانني احد خدمها او كأنني تطفلت عليها في منزلها تطفلاً · ما شاءالله ماشاءالله · هذه اخلاق امثال هؤلاء النساء الساقطات الغبيات · حقاً انني اخطأت خطاءً عظيماً بلحاقي بها الى منزلها وبتدنيسي قدمي بدخولي اليه

تلك كانت هواجسه في نزوله نحو القرية · الا ان للمرأة الجميلة جاذباً قوته أشد من قوة الاحتقار والازدراء · فانه لما فرغ غضبه من احتقارها اياه رجع الى نفسه وقال : على من اعتب ؟ أعلى امرأة شقية ساقطة لا قيمة عندها في الارض لغير المال والجمال · وماذا انتظر من نفس معذبة تمسي وتصبح وهي في حالة الجنون والهياج والخوف من الغد ؟ انني انا المجنون جنوناً فوق جنونها · فيجب عليَّ ان اشفق عليها وارفق بحالها بدل ان يسوئني احتقارها

والعادة ان بين (الشفقة) و (الميل) المسافة قريبة جدًّا · فتدرَّج الشاب الى قوله : ولكن لماذا تزيَّنت بهذه الزينة قبل انطلاقها من منزلها · انها منذ حين كانت تتنزه فما خرجت اذاً الآن الى النزهة · ولو كان خروجها الى النزهة لما عنيت تلك العناية بتزيين جسمها ووجهها · فلماذا خرجت اذاً · وما هذه الرسالة

التي كانت في يد رفيقتها واستدعتها من اجلها الى الغرفة الاخرى

فهنا خطرت للشاب خواطر غيّرت عواطفه من جهة المرأة فوقف برهة يفكر . ثم تغلب على نفسه واستمر في سيره . ولكنه ما خطا خطوتين حتى عاد فوقف . وكان في وقوفه مبهوتاً ينظر الى القرية المنبسطه تحته ولكنه في الحقيقة كان لا ينظر الى شيء . ويظهر ان الجاذب الذي كان يجذبه الى وراء تغلب عليه فالتفت نحو المنزل فوجد حنه في النافذة ورأسها مسند الى يدها . فقال في نفسه ان عدتُ الآن من حيث أتيت رأتني هذه المرأة اتبع رفيقتها . قال هذا ثم أظهر انه سائر من جهة غير الجهة التي سارت مريم فيها . ولما غاب عن المنزل عطف نحو الطريق التي رأى ان مريم سلكتها

وكانت هذه الطريق نفس الطريق التي سلكتها مريم في الصباح وهي المؤدية الى الوادي حيث اجتمع الشاب بمريم تحت الرمانة . فاسرع الشاب يقتفي اثر مريم فرآها من بعيد قد هبطت في الوادي . فحاد عن تلك الطريق وقصد الوادي من طريق غير مطروقة . فما كاد يشرف على الوادي من اكمة فوقه حتى رأى مريم صعدت من الجهة المقابلة ودخلت بيتاً كان مبنياً على الجانب الآخر فارتعد الشاب ووقف يتأمل

وبعد وقوفه حيناً انحدر الى الوادي فمرَّ من تحت الرمانة حيث لقيته مريم في الصباح وسمعت معه تغريد البلابل ثم اجتاز الوادي وصعد من الجانب الآخر في الطريق المؤدية الى ذلك البيت

وكان الشاب في اثناء صعوده يشعر بشيء لم يشعر به في حياته كلها . وقد وقف مرتين في الطريق وعزم على الرجوع الا انَّ ذلك الشيء كان يدفعه الى الامام . فلما صار على مستوى البيت تقدم نحوه بقلب خافق واطراف باردة . ولكنه ما وصل الى نافذته حتى ارتعد واصطكت ركبتاه وتبلل جبينه بالعرق .

ذلك انه سمع في داخله من وراء النافذة ما علم منه كلمح البصر السبب الهائل الذي من أجله زارت تلك المرأة الشقية ذلك البيت

فهمّ الشاب بان يعدو مسرعاً ويعود عن ذلك البيت اللعين . ثم تجلد وسار سيراً اعتيادياً . فطرق اذنه صوت ما كان في الداخل من احتكاك الكؤوس وهتاف السرور وقهقهة البطر وغناء طبّق الغرفة . وقد سمع جيداً صوت مريم يغني الغناء التالي مقروناً بصوتي رجلين ايضاً . وهذه ترجمة ذلك الغناء

لماذا أشرقت الشمس في هذا اليوم

اغربي اغربي يا شقية نحن نطلب الليل

يا ليلُ . يا ليلُ تكفيك شمس بنت الكروم

ووجه الحبيبة الخالي من أثر الهموم

وهنا كان الشاب قد ابتعد عن البيت في مسيره ولم يعد يسمع الا غناء مريم بصوت رفيع يرن في اذنيه دون ان يفهم الكلام . فلما غاب عن البيت في منحدر قريب قصد الى شجرة وجلس تحتها مضطرباً هالع الفؤاد وقد اخذ يمسح بكمه العرق الذي كان يتصبب من وجهه

ثم أخذ رأسه بين يديه وشرع يحلم . فتذكر ملتقاه بهذه المرأة تحت الرمانة وكيف احترمها واكرمها . وكيف رآها في البيت في حالة الضعف والكآبة . وكيف يراها الآن في حالة البطر واللهو . ثم تذكر السذاجة الصبيانية اللطيفة التي رآها في عينيها وجمالها الساحر الذي صنعه الخالق ليكون دليلاً على قدرته وكماله تعالى لا ليلقى مدنّساً في المزابل — تذكر كل ذلك فضاق صدره وخار عزمه وحار فيما يفعل . أيفرّ من ذلك البيت والوادي والقرية كلها ابتعاداً عن آثار الشقاء البشري وهرباً من رؤية هذه الشقية مرة أخرى ؟ أم يهجم على البيت ويدخل على اولئك الادنياء اللئام فيبصق في وجوههم ويصيح بتلك المرأة ان

تخرج من مكان يدنسها وتدنسه وتهين فيه في داخلها نفسها الخالدة الابدية التي انعم الله عليها بها لتصونها وتؤدبها وتقدسها

مسكين هذا الشاب · انه كان يظن ان غضبه وجزعه واصطكاك ركبتيه وتصبب العرق من جبينه — كلها ناشئة عن شفقته على مريم المسكينة · وما درى ان سببها كان دخول شيطان منها الى نفسه · ولو كان صاحبه الراعي هناك لقال له (يارب ارحم ياقديس يوسف ان احد شياطينها السبعة دخل فيك)

وما هو هذا الشيطان ? ان القارئ يعرفه دون ان نصفه · هو الروح الخبيثة الطيبة التي تصيب النفوس الحساسة كما يصيب الكرى الجفون · هو الداء الذي يتسرب الى القلب والنفس والعقل تسرب الكهربائية دون سلك فيستولي عليها دون نزاع ولا دفاع · هو فردوس الارض وجحيمها · لذتها وألمها · خيرها وشرها · نورها وظلامها · هو (الحب الفجائي) الذي يسميه كتّاب الافرنج ,, ضربة الصاعقة ،، وهم ينكرونه في غير الروايات · ولكن الاسباب تهيئ المسببات

لما رأى الشاب مريم تحت الرمانة اعجب بجمالها وامتشاق قوامها وتناسب اعضائها وتأنق لباسها · فاحتشم لديها احتشامه لدى سيدة كريمة احترامها فرض على الرجل · ولما علم من الراعي بحقيقة حالها اشفق عليها · ولما دخل الى منزلها بدعوة من اختها لمساعدتها على معالجة مريم في نوبتها ورأى ذلك الجمال الغض والجسم البلوري ملقى بحقارة وضعف على فراش الألم والشقاء زاد ميله اليها والى اغاثتها وانهاضها من كبوتها · وخيل له انه من الواجب عليه هدايتها الى الصراط القويم · ولكنه لما رآها تتزين وتتبرج وتخرج من منزلها دون ان تلتفت اليه · ثم رآها تدخل البيت الذي تبعها اليه وسمع غناءها مع بضعة من الشبان وبطرها بينهم بعد كآبتها الماضية — عرته حينئذ الدهشة اولاً والغيرة ثانياً · وليس شيء كالغيرة يُذكي نار الحب ويلقي صاعقته في القلب

فيا ايها القديس يوسف · قبل ان تطلب طريقة لانقاذ هذه المرأة الشقية اطلب طريقة لانقاذ نفسك · لانك كنتَ كالفراش الذي يحوم في الظلام حول المصباح ويلقي نفسه عليه فيحترق

الفصل الثامن

اول لقاء

وفي اليوم التالي بكر الشاب يوسف الى الوادي وجلس تحت الرمانة يقرأ كتابه · وما كان في الحقيقة يقرأ ولكنه كان يتلهى منتظراً مرور مريم هناك · وكان يوسف في ذلك الصباح اصفر اللون منتفخ العينين خائر القوى كأنه لم يرقد الليل كله · الا انه كان في عينيه مع ضعفه هذا برق غريب هو اثر الصاعقة التي انقضّت أمس في نفسه على نفسه · فكان هذا الشيء الجديد الذي اصابه تسلط على قواه فبث فيها الحياة مع ضعفها ووهنها وخلقها خلقاً جديداً

وفي كل دقيقة كان يوسف يرفع رأسه من الكتاب ويسرح نظره في ما حوله لعله يرى مريم · وكلما سمع حفيف ورق الشجر او صوت تنقل المواشي في العشب رفع رأسه وصار كله اعيناً ترى · الا انه ما كان يجد ضالته ولا يقف لها على اثر · فكان يعود الى كتابه متنهداً

ولما كاد ينتصف النهار سئم يوسف الانتظار فنهض بضجر وغضب وسار في طريقه يقصد حوالى بيت مريم لعله يراها قادمة او ذاهبة من طريق اخرى · فلقي الراعي قادماً بغنمه نحو الوادي وهو يحدوها بغناء مزماره غناءً محزناً تتردد صداه في الوادي فتجاوبه الطيور بتغريدها والاشجار بحفيفها · فلما أبصر الراعي صاحبه يوسف من بعيد صاح به

الى اين تمضي يا قديس هل تفتش على (سيدتك)

فسلم يوسف على الراعي تسليماً كان الضجر واشتغال البال ظاهرين فيه. فقال له الراعي. اني اراك اصفر الوجه فماذا اصابك من أمس الى اليوم. هل اقلقت ,, سيدتك '' احلامك في الليل. ثم ضحك الراعي وقال. اظن انك بعد حين ستلقي كتابك هذا من يدك وتقيم في بلدنا على الدوام. اذهب يا قديس وتعذب مع الشياطين اما انا فلا أبيعك هذه الزهرة البيضاء الصفراء بجميع جميلات اوروشليم والمجدل

قال ذلك ثم قطف زهرة من زهر المرجان كانت بجانبه وغرسها في شعره وسار ينفخ بمزماره وغنمه تحيط به كأنه ملك في مملكته

فوقف يوسف حيناً يتأمل في هذا الراعي وفراغ باله وقناعته وعيشه الساذج النقي بين الاشجار والازهار في وسط البرية بعيداً عن كل ما يثير النفس ويقلقها. وقابل بين نفس الراعي الراضية ونفسه الثائرة حينئذ. فهمّ ان يعود الى ما بين غنم الراعي واشجاره وازهاره وهدوء الطبيعة السائد في نفسه وفي ما حوله من الكائنات. ولكن المسكين كان يجهل ان نفوس البشر لم تُصنع كلها بقالب واحد ففيها ما من طبعه الرضى والسكينة الى الاعتيادي المألوف والمشي على الارض مشياً مقروناً بسلامة دائمة. وفيها ما من طبعه الطمع في ما وراء الاعتيادي المألوف والتحليق في جو الاوهام والاحلام فوق مواثيق البشر وعاداتهم ومطالبهم المادية وان كان في هذا التحليق سقوطها احياناً من علٍ الى أسفل

وما كاد يوسف يخطو خطوتين مبتعداً عن الراعي حتى سمع صراخ الراعي. يا قديس يا قديس

فالتفت يوسف فقال الراعي بأعلى صوته. انظر اليها فانها تفتش عليك بينما انت تفتش عليها. ما هذه الساعة السوداء يا رباه

ثم تناول الراعي عصاه وهجم بها على غنمه يدفعها بها من الطريق الى جوف الوادي ويصلي بصوت مسموعٍ الصلاة التي تطرد الشياطين

فمد يوسف بصره نحو الجانب الثاني من الوادي فابصر مريم هابطة من جهة البيت الى الوادي تقصد العودة الى منزلها على ما يظهر · فمشى قلبه في صدره حين رآها ماشية في طريق تنتهي اليه · وأخذ يتلهّى بقطف ازهار البرية ليمكنه ان ينتظرها وتلحق به · اما الراعي فكان مشغولاً بدفع غنمه من طريقه والفرار من مريم لئلا يتعلق بعض شياطينها بمواشيه فترديها · · ·

وكانت مريم في ثوبها الذي لبسته أمس حين كان يوسف في منزلها · الا ان زهور القرنفل التي كانت قد قطفتها وعلقتها بشعرها وصدرها كانت قد ذبلت وا أسفاه ولذلك القتها · ومن يعلم كم زهرة جُددت في شعرها وصدرها من ظهر أمس الى ظهر اليوم ؟ ولكن اذا كان ذلك مجهولاً فقد كان معلوماً ظاهراً أن زهرة جمال مريم وورد خدودها قد ذبلت بين أمس واليوم ذبولاً بيّناً · فقد كان لونها ضارباً الى الصفرة والكآبة بادية في كل وجهها · فمن رآها اليوم في هذه الحالة وسمع أمس قهقهتها وغناء بطرها من وراء النافذة لا يظن ان المرأتين هما واحدة ·

وكان يوسف كلما قطف زهرة نبض قلبه نبضة لظنه ان مريم قد وصلت اليه · فلما سمع وقع خطواتها وراءه التفت وهو يكاد يختنق لصعود دمه الى رأسه · ولما وقعت عينه على عينها لم يجد كلمة يقولها فاشار اليها براسه مسلماً · اما مريم فوقفت لانها على ما يظهر كانت متعبة ثم قالت له بلهجة عدم المبالاة التي الفها عندها

— ماذا تفعل هنا ألا تزال تغذي نفسك وجسدك

فازداد اضطراب يوسف لهذا التهكم منها وهمّ ان يجيبها بجواب هائل

حضره على لسانه ولكنه ملك عنان نفسه وقال وهو يرتجف ويخفي غضبه مخففاً جوابه

— قد اكون ممن يقوّون اجسامهم ونفوسهم بالرياضة في الخلاء ولكن لا شك في ان جنابك ممن يميتون نفوسهم واجسادهم

فرفعت مريم رأسها وشخصت اليه وقد دهشتها هذه اللهجة التي نطق بها يوسف كأنه ذو سلطة عليها . ثم غلب لديها الضحك على الدهشة مع كآبتها وضجرها في ذلك الصباح فضحكت وقالت

— انك اذا استمررت تغضب عليّ وتسيء بكلامك اليّ ايها السيد فانك تمنعني من الاستراحة هنا فانني تعبت من نزول الوادي واريد الجلوس هنيهة طلباً للراحة

فسكت يوسف ولم يجب . فجلست مريم على بساط العشب والزهر وقد تنهدت تنهد الراحة ثم قالت مبتسمة :

— حقاً ان التنزه في الخلاء جميل جداً . فانني نهضتُ في هذا الصباح باكراً فهبطتُ في هذا الوادي ومررتُ تحت الرمانة لعلي أراك ثم أمعنتُ في السير فاجتزت الوادي الى الجانب الآخر وطفتُ الآكام . . .

فهنا لم يستطع يوسف صبراً لما كان يعلمه من كذب كلامها فقطع حديثها وقال بكل بلادة دون ان يرفع رأسه من الارض وهو يتشاغل بتطف الازهار

— حقاً ان هذا النهار جميل الا أن الشمس محجوبة وراء غيمة سوداء قذرة

فسكتت مريم لرؤيتها ان خشونة الشاب وسكينته هذه وراءهما ما وراءهما . فحلّ لديها التأمل محل الخفة والاستخفاف . وأخذت تتساءل ما شأن هذا الشاب الغريب الذي يغضب لسوء ظنه بها . وما الداعي الى غضبه اذا كان لا يهمه أمرها . فسألته

ـــ ما اسمك ايها الشاب الظريف

فضحك يوسف وقال اسمي متىّ . فقالت هل انت من مجدل فانني لم أرك الا أمس . فضحك وقال : انا من مجدل ومن كل بلد لان وطني الارض بتمامها . فضحكت مريم وقالت انا اهنئك بهذا ولكن أين تقيم وما هي صناعتك . فقال لا أُقيم في مكان ولا صناعة لي . فقالت مريم بشيءٍ من الدلال والتلطف . انك مازح . فسكت يوسف

ولم تمر عشر ثوانٍ على سكوت يوسف حتى ظهر في الطريق شاب يمشي الهوينا . فلما أبصرته مريم صاحت هذا شيشرون . فبرد الدم في عروق يوسف واقشعرّ بدنه فرفع رأسه فابصر شبحاً قادماً فتناول كتابه من الارض دون ان يمعن النظر في الشخص القادم أو يتبينه ثم ترك قطف الازهار وتأبط كتابه وسار موغلاً في الحقل دون ان يحيّي مريم أو يلقي نظره نحوها

فدهشت مريم أولاً ثم ضحكت وأخذت تنادي يوسف . فلم يلتفت يوسف اليها . فأخذت مريم تقهقه وتناديه ويوسف مضطرب مرتجف يسير على غير هدى دون ان يلوي على شيءٍ . وبعد حين مرَّ الشخص القادم في الطريق امامها دون ان يلتفت نحوها ايضاً فنادته مريم : شيشرون شيشرون . فلم يلتفت شيشرون واستمرّ سائراً . فنهضت حينئذ مريم غضبى ولحقت بشيشرون فامسكت بكتفه ودفعته قائلة : هل صرت أصمّ يا بارد

ولا ريب في ان القارئ يعرف شيشرون الروماني الاحدب الذي تقدم ذكره في الفصول الاولى من هذه الرواية

فالتفت اليها شيشرون بعظمة وأنفة وقال . انك ايتها السيدة تعلمين انني لا أحب ان أراكِ أو التقي بكِ خارج بيتك . فأرجو ان تتركيني الآن لانني هابط الى القرية لاخذ رسالة وردتني من اوروشليم مع أحد مكاري القرية

فدمعت عينا مريم اذ لم يفتها سبب فرار الشاب منها حين سمعها تذكر اسم شيشرون وفرار شيشرون حين سمعها تكلم شاباً في الحقل · فوقفت في مكانها جامدة كالصنم لا يتحرك منها عضو غير عينيها وقلبها · ثم تناولت منديلاً من جيبها ومسحت به دمعها

الفصل التاسع

﴿ ضيافة ﴾

ثم عادت مريم الى حيث كانت جالسة على العشب وأطرقت تفكر وتنكت الارض باصبعها · وكان تحت نظرها على الارض الازهار الصفراء والبيضاء والحمراء · وأشعة الشمس الذهبية حولها تملأ الفضاء · والهواء يهب عليلاً · والطبيعة الفلسطينية التي كانت يومئذ في أجمل زخرف خلافاً لما هي عليه اليوم (١) تنبسط امامها بجمالها وجلالها — ولكن مريم لم يكن يروقها شيء من كل ذلك بل كانت ترى حولها كل شيء أسود في نظرها · ذلك لان (ذلك السواد) كان في نفسها · مصداقاً لقول الفلاسفة المشهور (الجمال في عين الرائي)

لقد صرفت هذه التعيسة ليلة ونهاراً في البطر والخلاعة والمسرات · لقد جارت على جسدها ونفسها بكل انواع الجور وهي تصيح بنفس ثائرة جنونية (يا حياتي ياقصيرة امتلئي بلا فراغ) (راجع ذلك الغناء في الفصل الثاني) ومع ذلك لما خرجت من ذلك الوسط اللعين الذي تغضب الارض لانها تحته والسماء لانها فوقه وان كانت بعيدة عنه — اخذت تفكر وتحلم · ولم تجد في نفسها من تلك الليلة وذلك النهار غير أثر الاشمئزاز والالم · وحين رأت

(١) رنان

يوسف يفر منها فرار السليم من الاجرب وشيشرون صديقها الذي لم تتدنس له يد في يدها يفعل فعله لانه رآها واقفة تحادث شاباً في البرية — ثارت كبرياؤها وتحطمت نفسها لهذه الاهانة لانها كانت تستحقها . فقطر ألمها دمعاً من عينيها كما تقدم

وبينا هي مبهوتة تتأمل وتتألم واذ طرق مسمعها صوت كوقع حوافر الخيل . فالتفتت فأبصرت ثلاثة فرسان قد صاروا على مقربة منها . وكان الفرسان قد قبضوا اعنة خيلهم حين وصولهم الى مريم وساروا الهوينا . وهم شاخصون اليها يتحادثون همساً . ثم انفرد احدهم وتقدم منها بعد ان ضحك لكلمة القاها الى رفيقيه وقال . عفواً ايتها السيدة اننا غرباء ونطلب مكاناً للمبيت أليس في القرية فندق

وكان الدمع لا يزال يجول في عيني مريم . ولكنها لما سمعت سؤال الفارس ورأت برق عينيه وضحكه مع ضحك رفيقيه وراءه شربت عيناها ما كان فيهما من الدمع فغاض دمعها الى حيث فاض وحلت فيهما القوة والوقاحة الخبيثة محلّ التأمل والضعف والانكسار . فاجابت بلهجة المرأة التي اعتادت مصارعة الرجال وعودت نفسها الاستعلاء عليهم والا داسوها تحت اقدامهم

— من يطلب فندقاً ايها الفارس الجميل لا يطلبه على اكمة بعيدة عن القرية بل في القرية نفسها

فقال الفارس . ولكن خير الفنادق ما كان على الآكام . بعيداً عن ضوضاء الانام . كالمنزل الذي امامنا هناك

فقالت مريم . ليس هذا المنزل بفندق ايها الفارس ولكنه منزل امرأة فقيرة حقيرة تعيش فيه مع قريبة لها . وأهل القرية يزعمون ان الشياطين تسكنه اما أنا فلم أرَ فيه شياطين ولكني رأيت فيه خنازير

فقال الفارس وكان رفيقاه قد تبعاه ووقفا بجانبه ينظران بعيون متقدة الى تلك المرأة الفضة التي كانت كانها برج فضة . — وهل هما تقيان وحدهما وتقبلان الضيافة باجرة او بغير اجرة

فقالت مريم لا أعلم فلكم ان تسألوهما عن ذلك . ثم أطرقت تنكث الارض بأصبعها

وكأن الفرسان الثلاثة قد (سمروا) هناك في الارض امام مريم (تسميراً) لا يقدرون معه على التحرك من مكانهم ومفارقة هذه المرأة . ولذلك اقاموا برهة يتشاورون بلغة اجنبية عرفت مريم انها الرومانية . فكان مثلهم في تلك الوقفة مثل ثلاثة من كلاب الصيد ظفرت بأرنب سمين في البرية متحصن في وكره فوقفت امامه تحرك اذنابها وتغرغر لهاتها مفكرة في طريق صيده . ولم يكن وا أسفاه لمريم خوف الارنب وذعره لدى هؤلاء الكلاب الثلاثة بل كان لها ألم طائر ذي قلب مريض وجنح مهيض ويطالب منه ان يرقص من الفرح لا من الألم

بعض النساء يقلن في بعض الاحيان سراً أو جهراً . (ما أقبح الرجال وأكرههم وأغلظ قلوبهم وأحط نفوسهم . فمنظرهم ثقيل . وذوقهم عليل . وكل ما لهم فظ بليد . واثرتهم وغطرستهم تبلغ بهم عندنا الى درجة من الاشمئزاز ما عليها من مزيد) ايتها المرأة لا تقولي هذا القول في الرجل مهما رأيت فيه مما يجعله قريباً منه ومستأهلاً له . فان الرجل الذي (يحترم) المرأة أي الذي يرعى (حرمتها السامية) التي هي اثمن ما عندها و يعف في قلبه وعينه عنها لاجدر باحترامها وحسن ميلها وصفحها مهما كان فظاً ثقيلاً غليظاً من اولئك الكلاب ذوات المنظر الظريف والذوق اللطيف واللباس الانيق والاسلوب الرقيق والشعر الصقيل الجميل الذين يحومون حول المرأة في المجتمعات والخلوات لصيدها

بشراك ظواهرهم هذه وجعلها بعد صيدها لعنةً لاهلها واضحوكة وألعوبة لهم يتسلّون بالهزء بها والضحك منها في خلواتهم ٠٠ أيتها المرأة لكِ ان تغتفري للرجل كل ذنب وتتحملي منه كل اساءة ٠ اما اصطياده امرأة ضعيفة من منزلها بين اهلها واولادها وهي بلا سلاح بازاء سلاح ذلك الوحش القوي فهو ذنب لا تطهّره الا لعنة الله ونار الجحيم : هو ذنب يوجب عليكِ ان تري كل رجل لا يعجبك مهما كان فاتراً غليظاً — شخصاًمحبوباً اذا كان يعفّ بل ملاكاً بالقياس على هذا الشيطان الرجيم

وبعد ان تشاور الفرسان الثلاثة التفت الفارس الاول الى مريم وقال ضاحكاً : نحن غرباء ايتها السيدة ولا فندق هنا فهل تأذنين لنا ان ننزل ونستريح على هذا العشب

فنظرت مريم في عينيه بوقاحة كنظر رجل لا كنظر امرأة وقالت ٠ الارض لله لا لي فلكم ان تنزلوا حيثما تشاؤون

فترجل الفرسان الثلاثة وجلسوا على بعد اربعة امتار من مريم ٠ وكان يظهر ان قائدهم هو الفارس الاول لانه كان اجرأهم واوقحهم ٠ فلما جلس لم يتعذر عليه موضوع للكلام فالتفت الى رفيقيه وقال

— اسألكم حلّ لغزي ٠ نحن الان في حضن الطبيعة الجميل ٠ فوقنا السماء وزرقتها الصافية ٠ وتحتنا الارض وازهارها الزاهية ٠ وحولنا الشمس ونورها العسجدي وانفاسها الدافئة ٠ فما هو أجمل ما حولنا ؟

فقال كل من رفيقيه قوله وهو يضحك ٠ وبعد ان فرغا من الكلام قال الفارس الاول

— كل ما قلتموه جميل ٠ فالازهار والوانها المختلفة الخارجة من تراب كأن في الارض صبّاغاً يصبغها ٠ والنبات الاخضر المتحول عن تراب أسود ٠ والهواء

البارد الذي لا نعلم من أين يهب · ونور الشمس الذي يشرح القلب · والطيور التي تتداعب هناك على الاشجار تداعب الاطفال الصغار· والراعي الذي يرعى مواشيه وينفخ لها بالمزمار · والسماء التي فوقنا ولا نعلم من اين تبتدئ ولا أين تنتهي في هذا الكون المملوء بالاسرار — كلها جميلة كما قلتم · ولكن هناك ما هو أجمل منها · فان لا شيء منها يشبه جماله جمال الحسناء ذات السوار · كلها جامدة باردة ساكنة سكون الموت فليس لها قلبٌ رقيق يخفق ولا عين ساحرة تحدق ولا نَفَس حار · النَّفَس ؟ سبحان جوبيتر بل ديانا لهذا (النفَس) الذي خلقاه وجعلاه رسول النَّفْس الى النَّفْس من قلبين أُشعلت فيهما النار · فالحسناءُ بديعة بدائع الكون ومستجمع الفنون ومنتهى ما قدر عليه في خلق الكمال والجمال ذلك الخالق الجبار · وفيها خلاصة الكائنات كلها · فقوة الأسد في نظرها · وسواد الليل في شعرها · وبياض الفجر في جبينها · وحمرة الورد ولون الزهر في خدها · وبرق النور في عينها · ولين الغصن في قوامها · ودهاء الثعلب في قلبها · ورقة السحاب وقوة صاعقته في لسانها · وخفة الطيور في رشاقة حركاتها · وفوق ذلك كله روح خفيفة بشوشة متسلّطة على هذه النفائس تبث فيها الحركة والحياة وتديرها حيث تشاء (ونَفَس حار) يذيب كل شيءٍ يعترض سبيلها ويُنفذ ارادتها

وكانت مريم في اثناء هذا الوصف الشعري تنكت الارض باصبعها ولكنها كانت مصغية الى ذلك الثقيل تسمع كلامه · ونظرت الى نفسها بعد هذا الوصف فراقها ذلك الاغراق والغلو اذ لا يلذُّ النساء شيءٌ مثله · ولكنها لم تجد في نفسها لنفسها اكليل ذلك البهاء والسناء الذي كلل المرأة به ذلك الفارس · فقالت في نفسها · ما أشد جنون الرجال الذين تدفعهم تصوّراتهم الى انزال المرأة هذه المنزلة · فان شاباً جدي الاخلاق مستقيم السيرة والسريرة نشيطاً

في عمله كالنحلة في قفيرها يحمل على ظهره عبء عائلته و يسير في طريق الحياة في خط مستقيم دون ان يبالي بتعب او صعوبة — لهو أجمل في حياته واكمل وافضل من امرأة بيضاء وحمراء تُعرض كالصور في المنازل

وكانت مريم لا تجهل ان ذلك الثقيل لا يقصد في كلامه هذا مجرد الوصف الشعري بل قصد به جرّ الحديث معها الى ما يبغي جرّه اليه · ولذلك لم يفرغ من كلامه حتى التفت اليها وقال

أما أصبتُ ايتها السيدة في قولي انكن زينة الارض ومستجمع بدائعها ونفائسها

فرفعت مريم رأسها وقالت · كنتُ مشتغلة بالتأمل في دودة تحفر لنفسها في التراب لتغوص فيه فلم اسمع كلامك

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

وبعد مرور ساعة كان هؤلاء الفرسان الثلاثة يتناولون الطعام و يتعاطون المدام مع مريم في منزلها

الفصل العاشر

﴿ متناقضان ﴾

وفي صباح اليوم التالي وصل شيشرون الاحدب الى منزل مريم ليمحو أثر تخاشنه أمس معها · فرأى من بعيد ثلاثة أفراس مربوطة بجانب المنزل · فقال في نفسه (مسكينة هذه المرأة التعيسة) ثم حاد عن الطريق وأوغل في اكمة ورأها وهو مطرق يفكر بنفس متألمة

فما كاد شيشرون يبلغ سفح الاكمة حتى رأى تحت شجرة فيها رجلاً مستلقياً على ظهره وذراعاه معقودتان تحت رأسه وكتاب ملقىً على صدره · فمشى شيشرون نحوه ليراه لان هذه أول مرة رأى فيها في مجدل رجلاً يحمل كتاباً · اما الرجل